منهج الإمام الذهبي في كتابه
"المعين في طبقات المحدثين"

الدكتور مختـــــار نصيرة

جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة

تعريف الطبقة:

قال ابن منظور:"...الطّبق كل غطاء لازم على الشيء، وطبـق كـل شـيء مـا سواه...وقيل الطبقة عشرون سنة"[1]، وعرفها السيوطي بقوله: "الطبقة في اللغـة القـوم المتشابهون".[2]

وفي سياق النص القرآني, وردت هذه المفردة في معنى وضع أو خلق الطبقات فـوق بعضها البعض, وذلك في مثل قوله تعالى في سورة الملك:[الـذي خلـق سـبع سمـوات طباقا](الآية: 3), وقوله تعالى في سورة نوح:[ألم تروا كيف خلـق الله سـبع سمـوات طباقا](الآية:15) أي, واحدة فوق واحدة, أو بعضها فوق بعض[3] وفي الاصطلاح, عرفها السيوطي بقوله:"قوم تقاربوا في السن والإسناد، بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر، أو يقاربوا شيوخه".[4]

1ـــابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب،(1988م)،4/568 ـــ 569

2 ـــ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبـد الوهـاب عبـداللطيـف، دار الفكـر، (1988م)،2/381

3 - ابن كثير, تفسير القرآن العظيم , 4/ 509 و 4/547.

4 ـــ المصدر السابق

وهذا التعريف الذي أورده السيوطي, نظر فيه قائله إلى الاعتبار الزماني فقط، وأهمل الاعتبار المكاني ومنازلهم فيها، كما أهمل تقسيم الرواة عن الشيخ الواحد إلى طبقات عدة, وتقسيم شيوخ الراوي الواحد إلى طبقات؛ كما هو الحال مثلا عند الإمام البخاري؛ فقد قسم العلماء شيوخه الذين روى عنهم إلى خمس طبقات: الأولى, من حدثه عن التابعين. والثانية, منكان في عصر هؤلاء,لكنه لم يسمع من ثقات التابعين. والثالثة, وهي الوسطى من مشايخه,من لم يلق التابعين لكن أخذ عن كبار أتباع التابعين. والطبقة الرابعة, رفقاؤه في الطلب ومن سمع قبله قليلا. والخامسة, قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة.[1] وقد سجل الأستاذ سعد التيم إشكالين على هذا التعريف:

1- إن القوم قد يتقاربون في السن و الزمان، ولكن تكون طرقهم وأسانيدهم مختلفة، فالتابعين من أهل الشام رووا عن صحابة، لم يرو عنهم تابعو البصرة أو الكوفة، والعكس صحيح...". [2]

2- إن بعض أهل العلم كأبي حاتم بن حبان، يعدّ الصحابة جميعا طبقة واحدة، و التابعين طبقة واحدة كذلك، ...فعنده أن علقمة بن قيس، و الأسود بن يزيد، وسروق بن الأجدع

ـــ وهم مخضرمون ـــ، و الزبير بن عدي اليمامي في طبقة واحدة , طبقة التابعين بالرغم من أن الزبير ليس مقاربا لهم في الإسناد؛ إذ هو من أصحاب إبراهيم النخعي، أما هم فمن كبار مشيخة إبراهيم". [3]

---

1 - الشيخ طاهر الجزائري, توجيه النظر, 1/419.

2 ـــ أسعد سالم تيم, علم طبقات المحدثين, مكتبة الرشد الرياض, ط1(1415هـ ـــ 1994م)، ص7

3 ـــ المصدر السابق، ص7 ـــ 8

ولهذا, فإن التعريف الذي نراه مناسبا للطبقة, هو الذي تراعى فيه الاعتبارات السابقة جميعها،فتصدق عليه شروط الجامع المانع, وهو ما عرفها به الأستاذ أسعد التيم، في قوله:"طائفة من الرواة (أو العلماء)تعاصروا زمنا كافيا، وجمعت بينهم علاقة مكانية، أو علمية، أو قبلية ما"[1]، وهو المعنى الذي وافقه عليه الدكتور عبد الكريم الوريكات في كتابه (الوهم في روايات مختلفي الأمصار)". [2]

فائدة علم الطبقات: قد يتبادر إلى ذهن كثير من المطلعين على كتب الطبقات أنه علم قليل الفائدة، إن لم تكن منعدمة؛ غير أن الباحثين المضطلعين بأعباء علم الحديث يدركون تماما أهيته التطبيقية، وذلك من خلال معرفة كل مصر من الأمصار ومن كان به من الرواة عبر الأزمان المتلاحقة, ومعرفة كل راو من هذه الأمصار, وكيف تناقل الرواة أحاديثه, ومن ورد إليه في فترات قصيرة, ومن لازمه مدة طويلة....

وقد أدرك هذه الضرورة المتقدمون من أهل الحديث ومن سار على دربهم من المتأخرين؛ حيث "كانوا يولون مسائل علم الطيقات اهتماما عظيما، فقد كان الحفاظ الكبار يهتمون بمعرفة أحوال جميع الرواة، وجمع أدق التفاصيل عنهم، ويسعون لتحديد موقع كل راو, ومنزلته في منظومة الرواية الشاملة". [3]

و فيما يلي ذكر مختصر لفوائد علم الطبقات:

1 ــ الكشف عن الإرسال الظاهر والخفي.

2 ــ الكشف عن بطلان السماع الذي لا يصح

---

1 ــ المصدر السابق، ص7

2 ــ عبد الكريم الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، مكتبة أضواء السلف،ط1 (2000م)،ص412

3 ــ أسعد سالم تيم. علم طبقات المحدثين. ص29

3 ــ الكشف عن الخطأ في الأسانيد

4 ــ الكشف عن سقوط رجل أو أكثر من الإسناد

5 ــ الكشف عن تدليس الشيوخ

6 ــ تمييز الأسانيدومعرفة الرجال المذكورين فيها

7 ــ معرفة أن الراوي شخص واحد، وإن ذكر في كتب التراجم بأسماء متعددة.

8 ــ معرفة الرجال المذكورين في متون الأحاديث و الحكايات

9 ــ التوقي من الخلط بين الرواة المتشابهة أسماؤهم.

10 ــ تصحيح متون القصص و الحكايات و المرويات في الجرح والتعديل، وإثبات صحيحها من ضعيفها.

11 ــ تصحيح الأخطاء الواقعة في متون الكتب المطبوعة.

12 ــ تقدير مواليد العلماء غير المنصوص عليها في كتب التراجم.

13- أهميته من الجوانب التاريخية في معرفة زمان ومكان الروايـــة, وتأكـــد الإدراك والسماع من الشيوخ, مما يعرف به اتصال الأسانيد وانقطاعها, وحصول الأوهام من الرواة أو تعمد الكذابين الوضع...وقد ذكر الأستاذ سعد التيم[1] مثالا لكل فائـــدة، وذكرهـــا مختصرة الدكتور الوريكات.[2]

عناية الإمام الذهبي بعلم الطبقات: من الأئمة الحفاظ الذين أولوا اهتماما بالغـــا بعلم الطبقات، و أكثروا فيه المؤلفات، الإمام شمس الدين محمـــد الـــذهبي المتـــوفى ســـنة(

1 ــ المصدر السابق، ص84 ــ 113

2 ــ عبد الكريم الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص417 ــ418

748هـ)، حيث ألف على طبقات "تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام"[1]، و"سير أعلام النبلاء"، و"تذكرة الحفاظ"، و"ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل"، و المجرد في أسماء رجال كتاب سنن الإمام أبي عبد الله بن ماجه سوى من أخرج له منهم في أحد الصحيحين"، و"طبقات الشيوخ"، و"المعين في طبقات المحدثين، و"معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار"، فهذه جميعها مؤلفة على الطبقات، وهي آية من آيات سعة اطلاعه، وغزارة معرفته ولا سيما في التراجم، التي برع فيها براعة جعلت العلماء يجمعون على تسميته "مؤرخ الإسلام".[2] وستتركز دراستنا في هذا المقال على كتابه" المعين؛ من حيث موضوعه, الطبقات والتراجم فيه وترتيبها...

موضوع كتاب "المعين في طبقات المحدثين": ألف الذهبي كتابه "تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام"، وخصصه لما " مضى من التاريخ ، من أول الإسلام إلى عصرنا هذا، والسلاطين، والوزراء، والنحاة، والشعراء، ومعرفة طبقاتهم، وأوقاتهم، وشيوخهم، والملاحم المذكورة، والعجائب المسطورة من غير تطويل و لا استيعاب. قال: ولكن أذكر المشهورين، ومن يشبههم، وأترك المجهولين و من يشبههم ، وأشير إلى الوقائع..." [3]، و ضم بين دفتيه قرابة أربعين ألف ترجمة من الأعلام والمشهورين. و اقتصر في كتابه "سير أعلام النبلاء", على ذكر الأعلام فقط، وأسقط المشهورين. وخص كتابه "تذكرة الحفاظ" لأسماء

---

1 ــ أشار الدكتور بشار عواد معروف في تقديمه لكتاب سير أعلام النبلاء،طبعة مؤسسة الرسالة،ط1(1981م)، إلى أن "تاريخ الإسلام" لا يدخل في الطبقات، بل في الترتيب على السنين،ينظر:1/100

2 ــ ينظر: المصدر السابق، ص109

3 ــ أبو عبد الله الذهبي، تذكرة الحفاظ،دار إحياء التراث العربي، بيروت،1/1

معدلي حملة العلم النبوي، ومن يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق و التضعيف، والتصـــحيح و التزييف"[1]. أما كتابه "المعين في طبقات المحدثين" فقد تميز بثلاث مميزات نذكرها فيما يلي:

الأولى: أنه جعله شاملا لكل من وصف بكثرة الطلب والرواية وذاع صـــيته، دون النظر إلى اشتراط مراتب معينة. قال في مقدمة كتابه :"فهذه مقدمة في ذكر أسماء أعلام حملة الآثار النبوية تبصر الطالب النبيه وتذكر المحدث المفيد بمن يقبح بالطلبة أن يجهلوهم ولـــيس هذا كتاب بالمستوعب للكبار بل سار ذكره في الأقطار والأعصار"[2].

ولهذا لا نجده يركز على بيان مراتب الرواة ومنازلهم، بقدر ما يبين مـــا لهـــم مـــن روايات[3]، أو مصنفات[4]، والتي تعد من أقوى العلامات التي تدل على الشهرة بالطلـــب والاعتناء بالمرويات تحملا وأداء؛ فكتاب "المعين" مقدمة، ومن شأن المقـــدمات أن تكـــون مختصرة البعارة، ومفاتيح لغيرها،

الثانية: أنه أخذ تراجم كتاب "المعين"، من تاريخ الإسلام وغيره من مؤلفاته، وهذا ما يدل عليه قوله في ذيل كتابه:"وأخبار المذكورين في هذا الكتاب ملونة في تاريخي الكبير، وفي غيره فمن رام علم ذلك فليطلبه".[5]

---

1 ــ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتـــاب العربي، بيروت، ط1(1989)1/12

2 ــ المعين .ص30

3 ــ ينظر: المصدر السابق .ت1215، 1256، 1447، 1448، 1583،

4 ــ ينظر: المصدر الســـابق.ت1232 ،1236، 1239، 1257، 1259، 1287، 1296، 1373، 1401، 1406

5 ــ المصدر السابق،ص232

الثالثة: حاول الذهبي الاستقصاء في ذكر المحدثين والمسندين في الأقطار، وقد صرح بهذا في خاتمة كتابه، فقال:"و إلى هنا انتهى التعريف بأسماء كبار المحدثين والمسندين..وعلى قلة من يبقى ففي مسنديهم عامية وعدم فقه، وفي محدثيهم نقص فضيلة وقلة همة...". [1]

و في المطالب الآتية, نحاول إعطاء صورة واضحة لمنهج الإمام الذهبي في كتابه "المعين في طبقات المحدثين "، و تفسير ما ورد فيه من مصطلحات.

أولا ــ عدد الطبقات والتراجم في كتاب "المعين": قسم الذهبي كتابه "سير أعلام النبلاء" إلى أربعين طبقة تقريبا، وكتابه "معرفة القراء" إلى سبع عشرة طبقة، وكتابه "تذكرة الحفاظ" إلى إحدى وعشرين طبقة، وكتابه " المعين" إلى ثمان وعشرين طبقة، فهذه الكتب جميعها تناولت نطاقا زمنيا محددا يمتد من الصحابة إلى عصره الذي عاش فيه، إلا أنها تختلف في عدد الطبقات، وهذا يعني أن الذهبي لم يكن يرى أن الطبقة ذات وحدة زمنية محددة ينتهجها في كل مؤلفاته. [2] ويضم كتابه "المعين" ألفين وأربعمائة وثلاثة وأربعين محدثا ومحدثة، وهذاستنادا إلى النسخة التي وضع حواشيها " محمد السعيد بن بسيوني زغلول".

وفي النسخة التي حققها الدكتور محمد زينهم محمد عزب, ألفان و أربعمائة وخمسة عشر محدثا. [3] أما النسخة التي حققها الدكتور"همام عبد الرحيم سعيد", فعدد تراجمها لا يتعد نيفا وألفين ومائتي محدث. [4] وهذه الأخيرة وقعت فيها أوهام وأخطاء كثيرة ، كما

---

1 ــ المصدر السابق،ص232

2 ــ ينظر: الدكتور بشار عواد معروف في تقديمه لكتاب سير أعلام النبلاء،100/1

3 ــ طبع بدار الصحوة.ط1(1407هـ)

4 ــ طبع بدار الفرقان .عمان. الأردن .ط1(1404هـ)

أشار إلى ذلك الدكتور محمد زينهم في مقدمة تحقيقه[1]، والأستاذ أسعد سالم التيم صاحب كتاب "علم طبقات المحدثين".[2] وتشمل هذه الأخطاء سقوط أسماء بعض المترجمين، وبعض الأنساب والكنى: فمن المحدثين الذين سقطوا من نسخة الدكتور همام,من الصحابة: - عبد الله بن زيد بن عاصم المازني،راوي حديث الوضوء[3]. - عتـــاب بـــن أســـيد الفقيمـــي الأمير[4] - عمرو بن العاص السهمي أمير مصر.[5]

ومن التابعين: - عبدالله بن يزيد أبو عبد الرحمن الحبلي.[6]

ومن بعد التابعين : - حنظلة بن أبي سفيان المكي[7] - حماد بن زيد[8] - عبد الله بن جعفر الرقي[9] وعبد الله بن نافع الصائغ.[10]

---

1 ــ محمد زينهم، مقدمة تحقيق "المعين في طبقات المحدثين"،ص9 ــ 14

2. أسعد سالم تيم. علم طبقات المحدثين

3 ــ المعين، تعليق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ص14

4 ــ المصدر السابق، ص15

5 ــ المصدر السابق، ص16

6 ــ المصدر السابق، ص34

7 ــ المصدر السابق، ص49

8 ــ المصدر السابق، ص57

9 ــ المصدر السابق، ص74

10 ــ المصدر السابق، ص75

ومن الذين كررهما الدكتور همام وهما واحد: عبد الله بن محمد الحافظ أبو بكر بـــن أبي شيبة، اللذين جعلهما رجلين؛ حيث ذكر عبد الله بن محمد الحافظ، و ذكر بعده أبو بكر بن أبي شيبة. [1]

ثانيا ــ الاعتبار الزمني في تقسيم الطبقات عند الذهبي:

ذكرنا سابقا أن الذهبي لم يراع وحدة زمنية محددة في كتبه التي ألفها، "وهو بذلك لم يدخل سن وفيات المترجمين باعتباره بشكل دقيق, حيث نجدها متداخلة بين طبقة وأخـــرى من جهة، كما نلاحظ في الوقت نفسه تباينا كبيرا جدا في المدة الزمنية التي تتستغرقها كـــل طبقة من الطبقات". [2] و بخصوص كتاب "المعين",فقد قسمه الـــذهبي إلى طبقـــات وفـــق مجموعة من الإعتبارات هي:

1ــ اعتبر الصحابة جميعهم طبقة واحدة، وقسمهم إلى ثلاثة أقسام :

- القسم الأول, للعشرة المبشرين بالجنة .
- القسم الثاني, لمشاهير الصحابة رضي الله عنهم.
- القسم الثالث, للصحابيات رضي الله عنهن.

2 ــ وقسم التابعين إلى ثلاث طبقات:

- الطبقة الأولى, أكابر التابعين: بدأها بالأحنف بن قيس التميمي، وختمهـــا بـــأبي مسلم الخولاني [3]

- الطبقة الثانية, من أئمة التابعين رحمهم الله كالحسن البصري ومجاهد. [1]

---

1 ــ ينظر: المعين.تحقيق همام سعيد .ص86

2ــ الدكتور بشار عواد معروف في تقديمه لكتاب سير أعلام النبلاء،101/1

3 ــ المعين، تعليق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ص24

- الطبقة الثالثة من التابعين، وهم طبقة الزهري و قتادة وأبي الزبير.[2]

3 ـ و في الطبقات الستة التي تليها عنون الذهبي كل طبقة منها بأشهر محدثيها، فقال: "طبقة الأعمش وأبي حنيفة"[3]، و"طبقة معمر والثوري"[4]، و"طبقة سفيان بن عيينة ووكيع"[5]، و"طبقة عبد الرزاق وعفان"[6]، و "طبقة ابن المديني وأحمد"[7]، و"طبقة البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي".[8]

ولم يقدم الذهبي هؤلاء الأئمة على رأس تلك الطبقات لأجل أنهم أقدم وفاتا، إذ بالنظر إلى تواريخ وفاة المحدثين في تلك الطبقات نجد فيهم من هم أقدم وفاتا ممن قدمهم الذهبي، فمثلا "طبقة الأعمش وأبي حنيفة"، نجد سليمان الأعمش توفي سنة (148هـ) ()[9]، و أبا حنيفة النعمان توفي سنة (150هـ)، أو (151هـ) ()[10]، ونجد في طبقتهما من توفي قبلهما جماعة، منهم: أبان بن تغلب توفي سنة (141هـ) ()[11]، و إسحاق بن سويد

---

1 ـ المصدر السابق، ص31

2 ـ المصدر السابق، ص39

3 ـ المصدر السابق، ص47

4 ـ المصدر السابق، ص56

5 ـ المصدر السابق، ص62

6 ـ المصدر السابق، ص71

7 ـ المصدر السابق، ص82

8 ـ المصدر السابق، ص95

9 ـ ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر، ط1 (1405هـ ـ 1985م)، 196/4

10 ـ المصدر السابق، 403/10

11 ـ المصدر السابق، 83/1

العدوي توفي سنة (131هـــ) ( )[1]، وأيوب بن موسى الأموي توفي سنة (132هـــ). ( )[2]

وفي "طبقة ابن المديني وأحمد": نجد ابن المديني توفي سنة (234هـــ)، و أحمد توفي سنة (241هـــ)، ونجد في طبقتهما من هم أقدم وفاتا منهما، جماعة منهم: أحمد بن جناب المصيصي توفي سنة (230هـــ) ( )[3]، وأحمد بن حميد الكوفي توفي سنة (220هـــ) ( )[4]، وأحمد بن يونس اليربوعي توفي سنة (227هـــ). ( )[5]

وعليه فإن الذهبي سمى تلك الطبقات بأولئك الأئمة, لأنهم أشهر تلك الطبقات لا غير، ولا يستفاد من صنيعه هذا ضابطا جديدا لمفهوم الطبقة لدى الذهبي في هذا الكتاب عن غيره من مؤلفاته التي صنفها على الطبقات، أو عن غيره ممن صنف في الطبقات.

-4 و اعتبر في باقي الكتاب المعيار الزمني هو الأساس في تقسيم طبقاته، إذ قسمها إلى طبقات زمنية متقاربة، وفيما يلي توضيح ذلك من خلال عرض عناوين الطبقات التي صرح فيها بالمجالات الزمنية:

بداية الطبقة	نهاية الطبقة	زمن الطبقة
طبقة كانوا في حدود العشرين و ثلاثمائة	إلى قريب من الخمسين	قرابة 30 سنة
طبقة تليهم	إلى السبعين وثلاثمائة	فوق 20 سنة
طبقة من حدود السبعين	إلى قريب الأربعمائة	قرابة 30 سنة
طبقة من بعد الأربعمائة	إلى خمس و عشرين سنة	قرابة 25 سنة
طبقة	إلى الخمسين و أربعمائة	25سنة

1 ــ المصدر السابق، 206/1

2 ــ المصدر السابق، 361/1

3 ــ المصدر السابق، 19/1

4 ــ المصدر السابق، 23/1

5 ــ المصدر السابق، 44/1

طبقة تتلو من قبلها	إلى ثمانين و أربعمائة	30سنة
طبقة تابعة لمن مضى	إلى حدود نيف وخمسمائة	حدود 25 سنة
طبقة تا بعة لمن مضى	إلى حدود الثلاثين وخمسمائة	حدود 25 سنة
طبقة من الثلاثي	إلى الخمسين و خمسمائة	20سنة
طبقة فيها نيف و خمسين وخمسمائة	إلى وفاة السلفي	حدود 25 سنة
طبقة تتلو من قبلها	إلى رأس الستمائة	حدود 25 سنة
طبقة من الستمائة	إلى قريب الخمس وعشرين و ستمائة	قرابة 25 سنة
طبقة	إلى رأس الخمسين وستمائة	قرابة 25 سنة
طبقة	إلى بعد السبعين و ستمائة	قرابة 25 سنة
طبقة	إلى عام سبعمائة	حدود 25 سنة
طبقة	إلى بضعة و عشر ين و سبعما ئة	حدود 25 سنة

فالذي نلاحظه من خلال هذا التتبع, أن الذهبي يعتبر زمن الطبقة في المجال ما بين خمس وعشرين سنة إلى ثلاثين سنة، و قلما يعتبر عشرين سنة زمنا كافيا للطبقة.

ثالثا ــ ترتيب تراجم الطبقات: لم يتعهد الذهبي بطريقة محددة في ترتيب الرواة في طبقات كتابه، ولهذا تردد مسلكه في ذلك بين حالات عدة:

ــ الترتيب حسب حروف المعجم ،وهذا في تسع طبقات ابتداء من طبقة كبار التابعين، وانتهاء بطبقة البخاري ومحمد بن يحي الذهلي.

ــ الترتيب حسب الأفضلية وهذا في طبقة الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ وذلك بتقديم العشرة المبشرين بالجنة على غيرهم.ثم رتب باقي مشاهير الصحابة على حروف المعجم، وتلاهم بالصحابيات أيضا.

ــ وفي باقي الطبقات لم يلتزم طريقة محددة، وهذا ابتداء من طبقة الإمام مسلم؛ إلا ما وقع في بعض الطبقات من ابتدائه بالأعلم والأشهر، كما في الطبقة الأخيرة، إذ بدأ بعلاء

الدين علي بن عبد الغني بن الخطيب فخر الدين بن تيمية الحراني. كذلك طبقة مسلم بـــدأ فيها بالإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، وثنى بسليمان بـــن الأشـــعث الأزدي السجستاني صاحب السنن.ولعل عدم ترتيب التراجم في الجزء الثاني من طبقاته هو المعهـــود في منهج تأليف كتب الطبقات، ولهذا رجع إليه.

رابعا ــ المحدّثات في كتاب "المعين": لم يخصص الذهبي قسما للمحدثات في الطبقات؛ وذلك لقلة عددهن, باستثناء طبقة الصحابة التي خصص لهن قسما فيها، وذكر فيه ثماني وعشرين صحابيه[1]، وقسما في طبقة كبار التابعين ذكر فيه سبع محدثات[2]. أما باقي الطبقات فلم يخصص لهن جانبا خاصا، بل ذكرهن في ثنايا تراجم الطبقات.

خامسا ــ أحكام النقدية في كتاب "المعين": أحكام الذهبي على الرجال في كتابه "المعين" قليلة جدا مقارنة مع عدد الرواة، وهذا راجع لغرضه من هذا التأليف، والمتمثـــل في جمع رواة الحديث المشهورين في الآفاق، بعيدا عن بيان مراتبهم.

وأحكامه مع قلتها, تنوعت لتشمل جملة من مراتب الجرح والتعديل، و فيما يلي بيان ذلك:

1- **قوله:" ثقة إمام "و " حجة إمام"**: ذكر ذلك في راويين اثنين:

ــ الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، ثقة إمام.[3]

ــ الحافظ أبو بكر، أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني، الفقيه، حجة إمام.[4]

---

1 ــ المعين، تعليق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ص7

2 ــ المصدر السابق.ص21 ــ 23

3 ــ المصدر السابق.ص117 ت1291

4 ــ المصدر السابق.ص117 ت1298

2- **قوله: "حافظ"**: لم يذكر الذهبي في كتابه"ميزان الاعتدال" مصطلح "حـافظ" ضمن الرتبة الأولى، ولا الثانية، إلا ما ورد مقرونا في الأولى في قوله:"ثبـت حـافظ."[1]، والذي يظهر من خلال كتاب "المعين " أنه أصدر هذا الحكم على جل المحـدثين ، ولـيس غرضه أنه في المراتب العليا من الضبط، بل مشهور بالنقل والرواية حتى وإن كـان لينـا أو ضعيفا. وعليه فهذاالحكم ليس له دلالة واحدة، بل يختلف مراده من راو لآخر:

- فمن المحدثين من وصفهم بالحفظ وهم في أعلى المراتب ، مثل: يحي بـن سـعيد القطان الحافظ[2]، قال عنه ابن حجر:"ثقة متقن حافظ إمام قدوة".[3] وحبان بـن هـلال الحافظ[4]، وأبو سلمة التبوذكي الحافظ[5]، قال فيهما ابن حجر:"ثقة ثبت".[6]

وكثير من المحدثين الذين وصفهم الذهبي بالحفظ, قال فيهم ابن حجر:"ثقة حـافظ" مثل : محمد بن عوف الحمصي الحافظ[7]، و محمد بن مسلم بن واره الرازي الحـافظ[8]، ويعقوب بن سفيان الفسوي الحافظ[9] وغيرهم.

---

1 ــ ينظر: الذهبي ميزان الاعتدال .تحقيق :على محمد البجاوي. دار المعرفة، بيروت.4/1

2 ــ المعين. ص70 ت745

3 ــ ابن حجر. تقريب التهذيب .عناية عادل مرشد. مؤسسة الرسالة.ط1(1416هـ 1996م). ت7554

4 ــ المعين .ص72 ت767

5 ــ المصدر السابق.ص81 ت889

6 ــ المصدر السابق .ت 1069. ت6943

7 ــ المصدر السابق .ص102 ت1154

8 ــ المصدر السابق .ص102 ت1155

9 ــ المصدر السابق.ص104 ت1171

ــ وقد يطلق هذا اللفظ على جماعة ، وهم دون المراتب السابقة، مثل: عثمان بن عبد الله بن خرزاد الأنطاكي الحافظ[1]، و محمد بن جعفر القومسي الحافظ[2]، فهذان المحدثان قال فيهما ابن حجر: "ثقة".[3]

ــ ويطلق هذا الوصف على من هم دون ذلك، مثل : محمد بن الحسين بن إشكاب، الحفظ[4]. قال ابن حجر :"صدوق".[5] ومسند العراق الحارث بن أبي أسامة التميمي الحافظ[6]. قال الدارقطني: "صدوق".[7]

ــ وقد يجمع الذهبي في الراوي الواحد بين الحفظ ووصف آخر يباعده في الرتبة ، كما جمع بين "حافظ"، و"صدوق" في ترجمة أبي بكر أحمد بن سليمان بن حسن النجاد ،فقال :" فقيه حافظ صدوق".[8]

ــ وقد قرن هذا الوصف بأحد أوصاف الترك في راويين اثنين،هما:

---

1 ــ المصدر السابق.ص100 ت1119

2 ــ المصدر السابق.ص101 ت1135

3 ــ تقريب التهذيب.ت4490. ت5789

4 ــ المعين .ص101 ت1137

5 ــ تقريب التهذيب .ت5821

6 ــ المعين .ص106 ت1192

7 ــ سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبدالقادر، مكتبة المعارف، الرياض،ط(1404هـ)،ص114 رقم 91

8 ــ المعين .ص114 ت1268

* هشام بن محمد بن السائب الحافظ واه. ولعله ذكره في عداد الحفاظ لأجل كثرة تصانيفه التي تزيد على مائة وخمسين مصنفا[1]

*ومحمد بن يونس الكديمي الحافظ، المتهم[2]. اتهمه بالوضع جل العلمـــاء، وســـئل عنـــه الدارقطني فقال: " يتهم بوضع الحديث وما أحسن فيه القول إلا من لم يخبر حاله "[3]

والظاهر أن الذهبي ذكره لتصريح الكديمي نفسه قال:"كتبت عن ألف ومائة"، فمن جلـــس لهذا العدد من الشيوخ وسمع، منهم صار بحق مشهورا بالطلب .

وقد ذكر العديد من الرواة ممن وصفهم بالحفظ، وهم ضعفاء دون أن يبين ذلك، منهم:

* محمد بن حميد الرازي الحافظ[4]. ذكر العقيلي أن البخاري قال :"فيه نظر"، وكتب عنه أبو زرعة ومحمد بن مسلم حديثا كثيرا ثم تركا الرواية عنه. [5]

* محمد بن يحي بن أبي عمر العدني الحافظ[6]. قال ابن أبي حاتم:"كـــان رجـــلا صـــالحا، وكانت به غفلة، رأيت عنده حديثا موضوعا حدث به عن ابـــن عيينـــة، ولكنـــه كـــان صدوقا". [7]

---

1 ــ المصدر السابق، ص80 ت671

2 ــ المصدر السابق.ص103 ت1162

3 ــ الذهبي. العبر في خبر من ذهب. 95/2

4 ــ المعين .ص89 ت988

5 ــ أبو جعفر العقيلي، الضعفاء الكبير، 61/4

6 ــ المعين .ص92 ت1018

7 ــ ميزان الاعتدال .89/7

و قد قرن بين وصف الحفظ وعدم معرفته للراوي في إحدى التراجم فقال:"و الحافظ أبو علي إسماعيل بن يوسف الديلمي العابد، لا يعرف. قال الحسين بن المنادي: قال لي: إنه يحفظ أربعين ألف حديث قلت: روى مجاهد بن موسى وكان أمي رحى".[1]

ويظهر مما سبق ذكره, أن وصف الحفظ الذي أصدره الذهبي في كتابه "المعـــين" لا يقصد به المدلول الاصطلاحي المشهور لدى نقاد الحديث ورجاله،وإنما يعني أن المحدث صيته منتشر وعرف بالرواية والاهتمام بها، والذي يؤكد هذا ـــ مع ما سبق ذكره ـــ أن الذهبي في كثير من التراجم يبدأ بوصف الرجل بالحفظ ثم يختمها بحكم ثان على الراوي،فيجتمع في المحدث الواحد الحفظ مع التوثيق،والحفظ مع الصدق ، والحفظ مع اللين،والحفظ مع عـــدم القوة.

3 ـــ **قوله: "إمام"**: ذكر هذا الحكم في مواضع قليلة جدا ،مثل: محمد بـــن يحـــي الذهلي، الإمام.[2]

4 ـــ **قوله: " حجة"**: ورد هذا اللفظ في ثلاثة مواضع : الحافظ أبو جعفر الطحاوي الفقيه، حجة[3]، و الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة الأصـــبهاني ،حجـــة[4]، والحافظ أبو علي بن السكن، حجة.[5]

---

1 ـــ المعين.ص107ت1209

2 ـــ المصدر السابق.ص103 ت1158

3 ـــ المصدر السابق .ص112 ت1244

4 ـــ المصدر السابق.ص115 ت1277

5 ـــ المصدر السابق.ص115 ت1278

5 ــ **قوله: "ثقة"**: هذا الوصف يعد في المرتبة الثانية من مراتب العدالة عنده وهو الأكثر شيوعا في المحدثين الذين تناولهم بالنقد في هذا الكتاب.[1]

6 ــ **قوله**: "تكلم فيه": ورد هذاالوصف في ترجمة واحدة :الحافظ أبو بكر محمد بن عمر بن مسلم العجابي تكلم فيه.[2] و يبدو من تصرفه أن هذا التوهين غير مؤثر عنده؛ وذلك لأنه حين ذكره في كتابه "العبر"، قال:"كان عديم المثل في الحفظ".[3]

7 ــ **قوله**: "**شيخ**": هذا الوصف في المرتبة الرابعة من مراتب التعديل عنده، وقد أطلقه على عدة رواة[4]،نذكر منهم : محدث بغداد أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك الدقاق، شيخ[5]. وقال عنه في الميزان:"صدوق في نفسه، لكن روايته لتلك البلايا عن الطيور كوصية أبي هريرة، فالآفة من فوق"[6]. وقال في العبر :"كان صاحب حديث كتب

---

1 ــ المصدر السابق.1054، 1243، 1247، 1258، 1261، 1262، 1263، 1271، 1276، 1279، 1280، 1282، 1287، 1288، 1289، 1294، 1295، 1301، 1309، 1310، 1311، 1312

2 ــ المصدر السابق.ص116 ت1281

3 ــ العبر في خبر من ذهب. 90/2

4 ــ ينظر: المعين 1269، 1270، 1275، 1283، 1284، 1286، 1290، 1292، 1293، 1297، 1300، 1302

5 ــ المصدر السابق.ص114 ت1264

6 ــ ميزان الاعتدال.532/2 ــ 533

المصنفات الكبار".[1] وأبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي ،صـــاحب الترمـــذي، شيخ.[2]

8 ــ **قوله: "لين"**: أطلق هذا الحكم على راو واحد فقط في هذا الكتاب ،والمتمثـــل في الحافظ أبي الفتح الأزدي الموصلي.[3]

9 ــ **قوله: "ليس بقوي"**: هذا الوصف والذي سبقه في عداد المراتب الأولى مـــن مراتب التجريح عنده, وقد وصف به راو واحد أيضا، هو: الحافظ أبو الحسين عبد البـــاقي بن قانع ، ليس بقوي[4]. ويبدو أن هذا التجريح مبني على الاختلاط الذي ألم به قبل موته بسنتين كما ذكر ابن الفرات، وقال الدارقطني : "كان يحفظ لكنه كان يخطئ ويصر".[5]

وفي ختام هذا البحث, هذه أبرز النتائج المستخلصة منه:

* يعد كتاب الذهبي" المعين" من بين أهم تواليف الحافظ الذهبي في بابه, إذ ينم على بصيرناقد ثاقبة, ويد له في التمحيص طولى, وعناية منه بتقريب الفهوم من المبتدئين لا تنكر, وهذه أمور لا تخفى على من هو في مثل الحافظ الذهبي.

* غرض الإمام الذهبي رحمه الله تعالى, في كتابه "المعين في طبقات المحدثين", كما هو مبين في عنوانه, أن يكون معينا لكل مبتدئ، مفتاحا لكل مؤلفات الرجال الطويلة له ولغيره.

---

1 ــ العبر في خبر من ذهب. 31/3

2 ــ المعين .ص114 ت1266

3 ــ المصدر السابق .ص118 ت1303

4 ــ المصدر السابق.ص115 ت1274

5 ــ ميزان الاعتدال .238/4

* جمع فيه أهم المحدثين الذين اشتهروا بالطلب، بغض النظر عن مترلتـــهم الدينيـــة، والحديثية، ولهذ وجدنا فيمن ذكرهم جماعـــة من الضعفـــاء والمتروكين، عنده وعند غـــيره من النقاد، وهذا ما يؤكد أن غرضه كان الجمع لا الانتقاء.

* التراجم المذكورة في" المعين", استقى الذهبي مادتها من مؤلفاته المتنوعـــة في علـــم الرجال, منها: كتابه" تاريخ الإسلام".

* يعد" المعين" حلقة من سلسلة مؤلفات الإمام الذهبي,التي أسهم بها في خدمة علـــم الرجال, ونحن بهذه الإلتفاتة إلى التعريف به وبمنهجه, نرجو أن نكون قد أسهمنا في إثـــارة مسائل هامة, قد تفتح الشهية لغيرنا من الباحثين لمواصلة الكشف عنها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل, وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.